

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[639] قلوب مجموعة من اليهود! والذي نعرفه هو أن هذه القسوة ما هي إلا نتيجة لإرتكاب الذنوب والإِـنحرافات، فكيف إـذن ينسب الأ فعل جعل القسوة في قلوب اُـولئك اليهود إـلى نفسه؟ ولو كان هذا الفعل من الأ، فكيف يكون اُـولئك الأشخاص مسؤولين عن أعمالهم، ألا يعتبر هذا نوعاً من الجبر؟ ولدى الإِـمعان بدقة في الآيات القرآنية المختلفة، ومنها الآية موضوع البحث، يتبيّن لنا أن الأشخاص إـنما يحرمون – بسبب اخطائهم وذنوبهم – من لطف الأ ورحمته وهدايته، وأن أعمالهم هذه في الحقيقة مصدر لمجموعة من الإِـنحرافات الفكرية والأخلاقية، بحيث يستحيل على الإِـنسان – أحياناً – أن يجنب نفسه عواقبها ونتائجها. وبما أن العلل – أو الأسباب – تعطي آثارها بإِـذن الأ، لذلك نسب مثل هذه الآثار في القرآن الكريم إـلى الأ، ففي الآية موضوع البحث نقرأ أن اليهود – نتيجة لنقضهم الميثاق – (جعل الأ قلوبهم قاسية)، كما نقرأ في الآية (27) من سورة إـبراهيم قوله تعالى (ويضل الأ الظالمين) وفي الآية (77) من سورة التوبة نقرأ قوله سبحانه: (فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم إـلى يوم يلقونه بما أخلفوا الأ ما وعدوه وبما كانوا يكذبون). وواضح أن هذه الآثار السيئة تنبع من عمل الإِـنسان نفسه، ولا تناقض في هذا الأمر حرية الإِـرادة والإِـختيار، لأنّ مقدمات تلك الآثار تكون من عمل الإِـنسان وتصدر عنه بعلمه واختياره، ولأنّ آثار عمله هي النتيجة الحتمية للعمل نفسه، وعلى سبيل المثال لو أن إـنساناً تناول شيئاً من المشروبات الكحولية، وحصلت لديه حالة من السكر، فقام على أثر هذه الحالة بارتكاب جريمة معينة، فهو وإن كان لا يمتلك إـرادته في حالة السكر، إلاّ أنّّه قبل ذلك أقدم على شرب الخمرة مختاراً ومدركاً لما يفعل، وبذلك هيّأ بنفسه مقدمات العمل الجنائي، وهو يعمل احتمال صدور هذا العمل منه في حالة السكر، ولذلك فهو مسؤول عن هذا